

## "بنات نعش" سر الموت فضيحة الحياة!



10 نوفمبر 2019 - 07:52

حسن البطل

إذا غاب الأفق في مملكة البتراء شق النبطي في الصخر أفقاً، أو انشقّ «السيق» فانفجر الفج عن أفق في كبد السماء!

ولإيلاف الأنباط إيلافهم ... رحلة الموت في الحياة ... تقول بدوية عجوز، تبيع الخرز والفضة والرمل ... «في سنة، جاء السيل إلى السيق .. وأخذ عشرين بنتاً»، بدوية عجوز كأنها «بنت نعش» تشتهي «سيل العرم».

للأنباط أجدية الصخر . تبدأ بخطين أفقيين، يعلوهما خطان أفقيان أطول مدى ... وبعد خطين أعلى وأطول، يبدأ المرقى إلى أفق في كبد السماء . ثم، البوابة دائماً.

ليلاً، في شق «السيق» تضيء «بنات نعش» كبد السماء . نهاراً، على صفحات الفجاج العميقة، تضيء شمس النهار حيطاناً بعلو خمسين قامة . على الحائط رسم البدوي «بنات نعش» . حفر في الصخر مثواه .

السر في التكوين محاكاة للسر في السماء . وهنا اجترح عرب الرمل أعجوبة عرب الصخر . السر في الصخر . هنا بدأت قواعد الخط النبطي . الصخر صحاف الدهر ... وهنا بدأ «المربع العربي» . والزمن ميزان فضيحة الموت . سرّ الحياة .

يسأل العربي القديم: كم قامة عمق البحر؟ وللبحر قعر . ويجيب النبطي: كم قامة يعلو الجدار، مرقى إلى كبد السماء ... وللسماء سقف من سراب إذا ولولت الريح في الليالي داخل «السيق» قال النبطي: «بنات نعش» في السماء . وعلى امتداد الفج العميق حفر النبطي صورة معكوسة في الصخر لبنات نعش في السماء ... وجعلها قبوراً . هل رحم الصخر قبر؟ .

يقودك «السيق» الضيق، وهو ضحكة الصخر الكظيمة، كما لعبة الأولاد، كما أساطير الأولين، كما عقدة السر في الأحاجي ... إلى تلك «الخرزانة» التي تتبلج، من شق «السيق» خمرة اللون في ضوء الصباح، وردية اللون في ضوء الأصيل . إنها عروس المشتهي، وكأنك الفارس ترفع البرقع عن الجسم الوردى الأملس .

هل كان للنبطي أقدام وطواط؟ هل كانت لعيون النبطي حدقات البومة؟ حتى قدّ النبطي صخر الرمل، وقرب أعشاش النسور، اتخذ له مخدعاً للهوى الجامح، أو اتخذه قبراً قريب المنال من مناقير النسور . منقار نسر ولا دودة الأرض! .

إذا كنت جائعاً تشتهي أن تعض الصخر الوردى، بألوانه كأنه حلوى «الرول» السويسرية . إذا كنت ذكراً مجمراً، ستظن الثغرة الوردية . الحمراء رحماً أو فرجاً . الصدوع ذاتها تتلوى في ثنايا الصخر كما تنتثي الأنثى على فراش الهوى .

هنا «الخرزانة» في ثغر السيق . وهناك «المحكمة» في طرف الوادي ... وبعيداً في البطاح هناك «قصر البنات» غارت من حسننها «بنات نعش» في السماء .

هنا أقام النبطي مبنى لمعنى الموت، فصار الموت أليفاً. هناك في وادي النيل، أقام الفرعوني مبنى لمعنى الحياة. هنا المربع، هناك المثلث، في وادي البتراء وأفججه تبقى الحياة سرّاً. هناك في وادي النيل العريض يبقى الموت سرّاً ولغزاً.

البوابات نوافذ للنوافذ. خلف النافذة الأخيرة عجز النبطي عن الصعود في رحم الصخر إلى سر الحياة. نام نومة الأبد، وللابن أن يوصي حفيد الجد بالبحث عن السر تحت صخر آخر مجاور أقرب إلى لون الرحم. ما دام الصخر جسد التراب، فليخلع النبطي ثياب الحياة الرثة، وليهدي صخر عظامه إلى صخر الأرض، يعود إلى الرحم من أقصر الطرق؛ ومن أشقّ الطرق.

من أين جاء الأنباط وعملوا «العجيبة» في البتراء؟ عرب عاربة صارت عرباً بائدة. إلى أين ذهب الأنباط؟ تقول لغة الكشوفات إن ابتسام الصخر العظيم في الفج العميق صارت تكشيرة غضب، زلزلت الأرض زلزالها. لفظ رحم الصخر عظام الأجداد. وجد النبطي أن السر الذي في التكوين ليس هو السر الذي في معنى الموت. يحتاج فك السر إلى معنى الحياة.

هكذا، وفي منتصف القرن السابع الميلادي هبط السر السماوي قرب يثرب. اختفى الأنباط من مملكة البتراء «لسبب غير معروف» أو ربما كان السبب أن طلائع رسالة السماء الجديدة أدركتهم من كل فج عميق، فصاروا جنودها المجاهدين. هربوا من روما. انقضوا على روما. ماذا يفعلون، اليوم، في وادي مملكة البتراء؟ يبيعون فتاتاً من الصخر العجيب إلى السواح، أو يطحنونه ويملؤون جوف زجاجة السائح رملاً ملوناً. يسألونك: ما اسم الحبيبة، ثم يحبسونها في الرمل الأحمر، الوردى، الأصفر، الأخضر، الأسود.. ألوان متموجة ومتدرجة.

يردون الاسم إلى سر الصخر، والحب إلى رحم الشهوة.

وعندما يغادر السائح الأخير في المساء، يرتدي الصخر في البتراء ثياب النوم الوردية. صورة الغسق في الفج العميق.

يختلط عليك القبر في الصخر بالرحم في الصخر.